كلمة رئيس الجامعة الأنطونيَّة الأب ميشال جلخ
في افتتاح نشاط
"Les jeudis de l'InfoCom"
٠٣ كانون الأوَّل ٢٠٢٠

الأساتذة الكرام، الطلاب الأعزّاء، أيُّها الحضور الافتراضيُّ الكريم،

يسرُّني أن ألتقيكم في افتتاح هذا النشاط الواعد: Les jeudis de l'InfoCom وأن أحيِّي كلِّيَّة الإعلام والتواصل التي تُطلقُه وعميدتَها وأساتذتَها وطلّابَها، إضافةً إلى أصدقائها من الجامعة وخارجها الذين سيُفيدون من هذه اللقاءات لتطوير معرفةٍ أعمقَ لما يجري في ميادين الإعلام والتواصل وما يحيط بهما.

في هذا اللقاء الأوَّل المخصَّص لمئويَّة لبنان الكبير، أودُّ أن أقرأ عليكم تساؤلاتٍ كتبها لبنانيٌّ، تساؤلاتٍ أرجو أن تتأمَّلوا فيها. يقول: "لِمَ لبنان هكذا؟ لِمَ هذا التمييز على أساس الطائفة؟ لِمَ هذه اللامبالاة الاجتماعيَّة؟ لِمَ هذه الأنانيَّة في الأوساط الميسورة؟ لِمَ هذه اللاكفاءَة السياسيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة؟ [...] ولماذا يغدو هذا البلد الذي اشتهر، على امتداد تاريخه، بالضيافة واللين، لامِضيافًا إزاء أبنائه؟" (نهاية الاقتباس).

ليس صاحب هذه الكلمات ثائرًا من ثوّار ١٧ تشرين، ولا هو أحد صحافيِّي يومنا، ولا أحد طلّابنا شاكيًا خيبته من لبنان على مواقع التواصل الاجتماعيّ. إنَّه الفيلسوف اللبنانيُّ الفرنكوفونيُّ رينيه حبشي (١٩١٥-٢٠٠٣) مفكِّرًا في مآسي لبنان عام ١٩٧٠، أجل عام ١٩٧٠ بمناسبة الاحتفال باليوبيل الذهبيّ، أي خمسين سنة لإنشاء لبنان الكبير. مرَّت خَمسون سنة إضافيَّة من يوم كتب رينيه حبشي هذه السطور وبقيت الأسئلة هي نفسها: "لِمَ لبنان هكذا؟". كلٌّ منّا يتساءل اليوم مستنكرًا، أو غاضبًا، أو حائرًا، أو يائسًا: لِمَ لبنان هكذا؟

أينبغي لهذه الفكرة أن تحبطنا طالما مشكلات لبنان قديمة ولم تُحَلّ؟ هل يعني ذلك أنَّ المائة عام التي مرَّت من بعد إعلان لبنان الكبير كانت على حدِّ عُنوان كتاب غسّان تويني (مع خوري ولاكوتور (Lacouture)) "قرنًا لا لشيء" (Un siècle pour rien)؟

لا شكَّ في أنَّ لهذه الأفكار السوداويَّة ما يبرِّرها اليوم. لكن لو نحن أمعنّا النظر لرأينا في هذه الحقائق دليلًا على أنَّنا لسنا في لبنان أمام صعوبتنا الأولى. لم يكن تاريخنا يومًا رحلة هانئة محسوبةَ الإيقاع والمآلات. لكنَّ هذا الوطن الذي ما فتئنا نسأل أنفسنا منذ إنشائه لم هو هكذا، كان وما يزال استثناءً جديرًا بالحياة، وجديرًا بالحبِّ والحسد. ليس من السهل أن تكون دولةً صغيرة في أكثر مناطق العالم تعقيدًا من الناحية الجيوسياسيَّة؛ ليس سهلًا أن تكون تعدُّديًّا على حدود كيانٍ يريد إحياء مقولة الدولة الدينيَّة. ليس من السهل أن تختار الديمقراطيَّة منذ ١٩٢٠، على الأقلّ، فيما محيطُك ما زال يحاول التوجُّه إليها. ليس سهلًا أن تكون موطن الحرِّيّات والانفتاح ولا تنقلب الحريَّة لعنةً عليك... هذه المخاطر لصيقة بعظمة لبنان. لذا ينبغي علينا أن نُبدع سياسة على مستوى العظمة ومستوى الخطر، وهذا ما لم نفعله.

تعرفون بيت سعيد عقل الشهير:
وقالَ من خطَرٍ نمضي إلى خطرٍ ما همّ؟ نحنُ خُلِقْنا بيتُنا الخطَرُ

أجل من يُرد بيتًا في مقدِّمة الحرِّيَّة، وعلى أعلى قمم الثقافة والانفتاح، عليه أن يعرف أنَّه في خطر. لكنَّنا لم نعرف كيف نحمي البيت الجميل العالي من مخاطر الجمال والعلوّ. ولم نعرف أن نردع عنه أيدي الفاسدين منّا. هنا بيت القصيد وبيت الخطر.

السؤال الذي علينا أن نطرحه: ليس لمَ لبنان هكذا؟ بل كيف نحمي لبنان؟ وأنا على يقين بأنَّ الجامعيِّين، طلّابا وباحثين وأساتذة، قادرون على تجديد التفكير في هذا السؤال والسير بنا إلى اليوبيل المقبل مرفوعي الرأس والمعنويّات.

أهلًا بكم في الأنطونيَّة، بإرادتكم وأفكاركم سننجو، وسنبقى وسيبقى لبنان.